دراسات الأدب المعاصر، السنة الخامسة، شتاء ۱۳۹۲، العدد العشرون: صص۴۹- ۶۶

النساء الشاعرات فی الأدب العربی

مهدی ممتحن*
شمسی واقف زاده**
حسن خانجانی***

تاریخ الوصول: ۹۲/۴/۱۸
تاریخ القبول: ۹۲/۸/۱۹

الملخص

ظهرت فی القرن العشرین دعوات تنادی بالنسویة وأطلق علیها مصطلح "الأدب النسائی"، فی سیاق الحرکات الداعیة لتحرر المرأة وأطلت علی الأدب العربی فی السبعینات وفی الثمانینیات حتی ظهر تیار عربی سمی بالنقد النسوی. ومازال هذا المصطلح موضع شک وارتیاب بالنسبة لکثیرات من المبدعات، ومازال بالنسبة لبعضهن تهمة تنصق بما یکتبنه ومن هنا بقی المصطلح یتأرجح بین مؤید ومعارض وسط مناقشات فی الأوساط النسائیة الأدبیة بشکل خاص. وطبعاً تم الاختلاف حول المصطلح، هل الأدب النسائی هو الأدب الذی تنتجه المرأة؟ أم هو ما تکتبه المرأة ویدعو إلی التمرد علی ذکوریة المجتمع؟ أم هو غیر ذلک؟ قبل ذلک هل یوجد أدب نسوی وأدب رجالی؟ أم أنّ الأدب هو أدب إنسانی لا رجولیة ولا نسویة فیه؟ أیضاً ما المصطلح المناسب؟ أدب نسوی، أم أدب المرأة؟ أم الأدب الأنثوی؟ أم الأدب النسائی؟

الکلمات الرئیسیة: الأدب النسائی، الأدب الرجالی، الأدیبات، الشاعرات.

* عضو هیئة التدریس بجامعة آزاد الإسلامیة فی جیرفت(أستاذ مشارک). **Dr.momtahen@gmail.com**
** عضو هیئة التدریس بجامعة آزاد الإسلامیة فی ورامین(أستاذ مساعد).
*** مدرس جامعة آزاد الإسلامیة فی اسلامشهر.

المقدمة

عندما نتكلم عن مصطلح "الأدب النسائى"، تنصرف الأذهان إلى دلالتين محتملتين لهذا المصطلح، الأولى، أدب كاتبته المرأة والأخرى، أدب موضوعه المرأة؛ ومن باب التفريق انصرف المصطلح إلى الدلالة الأولى، واختصت الثانية بمصطلح آخر هو "الأدب النسوى".

يمكن القول إن استعمال مصطلح الأدب النسائى يعود فى العالم العربى، إلى مرحلة النهضة التى أدرک فيها المتنورون أهمية دور المرأة فى نهوض المجتمع، وهو ما استدعى تعليمها وأفسح لها، من ثم إمكان المشاركة فى النشاطات الاجتماعية والثقافية والإنتاج الأدبى. فى هذه المرحلة – مرحلة النهضة – عرفت اللغة العربية مجموعة من المفردات تخص نشاطات المرأة وتشير إلى ما يبذل من أجلها مثل، «تعليم النساء»، «الجميعات النسائية» مثل جمعية «زهرة الإحسان» وهى أنشات سنة ١٨٨٠م فى بيروت وجمعية «يقظه الفتاة العربية» فى سنة ١٩١٤م، «المجلات النسائية» مثل مجلة «الفتاة» أصدرت سنة ١٨٩٢م فى الإسكندرية ومجلة «المرأة» سنة ١٨٩٣م فى حلب، مثل هذه النشاطات وسمت بـ«النسائية» وإن شارک فيها الرجل. وعليه فإن «النسائى» يشير وبشكل أساس، إلى حيز دال على حضور المرأة ونشاطها فى الحياة الاجتماعية والثقافية والأدبية.

أما المرأة دخلت إلى مجال العلم والتعلم متأخرة عن الرجل، إذ كانت المرأة قبل عصر التنوير لا يسمح لها بالخروج من المنزل. وقد تمّ إرسال أول فوج من النساء للتعلم فى الجامعات فى مصر عام ١٩٣٢م وذلک فى الوقت الذى كان هناک خريجو رجال عرب من كل مكان فى العالم، لذا فمن الطبيعى أن يسبقها الرجل فى الكتابة.

مصطلح "الأدب النسائى" فى النقد العربى

مع ازدياد عدد الأديبات الشهيرات بدأ هذا السؤال وأمامه علامة استفهام كبيرة «هل لدينا أدب نسائى وأدب رجالى؟» أم أن الأدب هو أدب إنسانى، لا رجولية ولا نسوية فيه؟ أما من بين النقاد العرب فنلفى *جورج طرابيشى* الذى يميز بين ما تكتبه المرأة وما يكتبه الرجل إذ يرى أن الرجل يكتب بعقله، أما المرأة فتكتب بقلبها ويقول: «العالم هو محور اهتمام الرجل، أما المرأة فمحور اهتمامها الذات، حيث تستمد جمالية الكتابة فى المقام

الأول من ثراء العواطف وزخم الأحاسيس»(طرابيشی، ١٩٨١م: ١١-١٠) كما يقول بعضهم، إن المرأة تجنح إلى التخصيص والرجل يجنح إلى التعميم، حيث تكون نظرته شاملة ونظرتها جزئية وفردية.

فی جانب آخر يرى بعض النقاد، أن الأدب له أصوله ومفرداته وأدواته الفنية التی تختلف فی تميزها من أديب إلى الآخر ولا يمكن أن يختلف عند الرجل أو المرأة، ولا يمكن أن نسمّی غير الأدب، أدباً لمجرد أن كاتبه امرأة أو رجل وشاعت - خطأ- مقولة "الأدب النسائی" رغم أن الكبار لايحبذون هذا التعبير؛ حيث قالت الأديبة الجزائرية *زهور ونيسی*: «الأدب يقوم على جوهر إنسانی دون أن تدخل فيه «الأنوثه» أو «الذكورة»... فهو يبحث عن التزاماته ليضيف التزاماً آخر ينتصر به على أعداء المجتمع أياً كانوا»(ونيسی، ١٩٨٨: ١٥).

ويقول بعضهم إن هناک مواقف وقصصاً تكون فيها الكاتبة أقدر على سبر أغوار المرأة لكونها امرأة، كما أن الرجل يكون قادراً على توصيف حالات وضع الرجل أكثر من المرأة، على الرغم من وجود نماذج من أدباء استطاعوا الدخول إلى العوالم الأخرى. وبعضهم يعتقدون أن المرأة إنسان ذو موقع اجتماعی واقتصادی وذو علاقات إنسانية بالمجتمع الذی نعيش فيه ومن هذا الأساس تعبر عن مبادئها وعن رؤيتها إلى الحياة، وهی فی ذلک تنفق مع بعض الكتاب وتختلف مع بعضهم الآخر لذلک لا نستطيع أن نطلق اصطلاح «الأدب النسائی» تجمع فيه كاتبات مختلفات تماماً فی الأسلوب والاتجاه والرؤية الفكرية. وهناک العديد من الأقلام النسائية التی ترفض مسألة التضيف على أساس الجنس وترى فی الأمر شيئاً من المبالغة واللاواقعية، ويمكن أنّ الأدب يعنی كلا الجنسين وليس جنساً دون آخر. لأنّ الأدب خلاصة تجربة إنسانية لاتختص الذكر دون الأنثی ولا الأنثی دون الذكر؛ وذلک إذا أتيحت للمرأة الفرص للتثقف ثقافة عميقة مثل الرجل، وحظيت بالمكانة نفسها التی يتمتع بها الرجل فی المجتمع.

بين شعر النساء وشعر الرجال

مادام موضوع بحثنا فی الشعر النسوی، فقد يتبادر إلى الأذهان سؤال، هل هناک فرق بين شعر النساء وشعر الرجال؟

فأجاب البعض، بأن للمرأة عالمها كما للرجل عالمه، ولكل منهما تصورات ونظرات للحياة تختلف عما عند الآخر، كما أن هناک فوارق طبيعية ناتجة عن الفوارق الجنسية والجسمية تقتضى انفراد أدب المرأة عن أدب الرجل. وذلک لأن أدب المرأة مرتبط بتركيبها الذهنى والنفسى وأشياء أخرى أهمها عاطفة المرأة وحساسيتها ... .

وفنية الأدب تعنى ارتباطه بالوجدان والعاطفه ولاسيما الشعر الذى تعبر به عن عواطفها وحساسيتها المرهفة، وقلما تجيد المرأة كتابة المسرحيات والمقالات والأبحاث الفكرية والأدبية والمواضيع العلمية وذلک لأن البحث يتطلب عقلا منهجياً منظماً لادخل للعاطفة والوجدان فيه(الكيلانى، لاتا: ٢).

يرى البعض الآخر أن المرأة لها نظرتها للأمور تختلف عن نظرة الرجل لاختلاف طبيعتها عن طبيعة الرجل، وذلک بالرغم من مشاركتها للرجل فى جميع جمالات الحياة وميادينها فى العصر الحديث. أدب الرجل ترى فيه الخشونة الواضحة تنم عنها فزعاته فى الشعر الحماسى وشعر الفخر وحتى فى شعر الغزل، بينما أدب المرأة تتجلى فيه أنوثتها بوضوح شعراً كان أو قصة مثل رثاء *الخنساء* لأخيها *صخر*، ومجال القصص ترى اهتمامات المرأة انصبت فى معظمها حول تجسيد هموم المرأة ومعاناتها، وواقع الحياة بين الزوجين وحديث الغدر والخيانة، وهموم الظروف الحياتية، والحديث عن عطاء المرأة الدائم، وفى كل ذلک تهتم الأديبة بأن تسبر أغوار المرأة من منطلق واقعها كأنثى وهذا ما يعجز عنه الرجال، ولعلّ سر غزارة القصة فى الأدب النسائى يرجع إلى طبيعة المرأة وخصوبة خيالها أكثر من الرجل.

كما نلاحظ معظم شعر المرأة يتصف بالسهولة والبساطة العفوية لأنها تكره المجردات والعقليات، فإذا فكرت فهى تفكر من خلال احساسها وعواطفها وإذن هناک أدبان أدب يصدر عن النساء؛ بخصائصه، وآخر يصدر عن الرجال بخصائصه. وهذا شىء طبيعى لأن لكل من المرأة والرجل عالمه(بوفلاقة، ٢٠٠٣م: ٢٥).

جامعو الشعر العربى والمؤرخين تناسوا المرأة العربية الأديبة

ممّا يوكد أن شعراً كثيراً قد ضاع إلى جانب عديد من الأسماء الشعرية الضائعة وإلاّ كيف نفسر عدم عثورنا على ديوان مستقل لشاعرة واحدة، باستثناء المقطعات التى جمعت

لکل من *الخنساء ولیلی الأخیلیة*، أو بعض المراثی التی حصرها *ابن سلام* فی کتابه «طبقات فحول الشعراء»، ضمن قسم طبقة شعراء المراثی أو *البحتری* الذی ضمن مختارات من غرض الرثاء لمجموعة من الشاعرات العربیات فی کتابه «الحماسة». وهکذا لم یصل إلینا من الشعر النسائی إلا النزر القلیل، وهی الحقیقة التی أکدها بعض الشعراء؛ *فأبونواس* مثلاً معترفاً بشاعریة کم کبیر من الشاعرات اللاتی عشن فی الجاهلیة وصدر الإسلام أفاد من تجاربهن الشعریة بقوله: «ما قلت الشعر حتی رویت لستین امرأة منهن *الخنساء ولیلی الأخیلیة*»(صادق الرافعی، ۱۹۷۴م، ج۳: ۷۳).

کما قال *أبوتمام*: «لم أنظم شعراً حتی حفظتُ سبعة عشر دیواناً للنساء خاصةً»(نفس المصدر)، إهمال المرأة العربیة الشاعرة من قبل المؤرخین القدماء وضیاع أکثر شعرها، یعود إلی أسبابٍ اجتماعیةٍ قاهرةٍ تحکمت فیها وکذلک إلی أسبابٍ تاریخیةٍ منها:

۱. إنّ حرکة الجمع والتدوین فی العصر العباسی قد نشطت علی أیدی رجال عاشوا بعقلیة مجتمع وأد المرأة معنویا، وعزلها عن الحیاة العامة ومن ثم لم یکن لها فی تصورهم أن تتحدث عن عواطفها ولذا حصروا مجالها الفنی فی الرثاء.

۲. التعصب من قبل الرجال وعدم اعترافهم بشاعریة المرأة، فی القدیم کانت تحاط بسیاج کامل من الصون والعفاف فکان الحدیث عنها یحفظ وحدیثها کان یکتم. وکان الحدیث عن المرأة فی المجتمع الجاهلی والإسلامی والأموی یحاط بسیاج من العفة، وفی مجتمع الصعالیک فکان لاینظر إلی المرأة إلا من جانب المتعة، والشهوة والجسد والغزل وکان الحدیث عن المرأة فی شتی جوانب الحیاة، فهی الزوجة والأم وصاحبة الصون والعفاف وهذا المجتمع شذ عن الأعراف السائدة، ولذالک ظهور المرأة علی الساحة الأدبیة مرتبط بعوامل بیئیة.

۳. جمع بعض الرواة والعلماء، أشیاء من شعر النساء، غیر أنّ أکثر هذه الکتب قد ضاع مع ما ضاع من التراث العربی(بوفلاقة، ۲۰۰۳م: ۲۳).

الإهمال أو الإغفال فی إسهام المرأة العربیة فی الحقل النقدی

تجلی الإهمال فی إسهام المرأة العربیة أیضاً فی الحقل النقدی، إذ نلحظ أبعاد بعض المحاولات النقدیة التی صورت عنها وتصنیفها هامشیاً علی ضفاف الآراء النقدیة المعتد بها، هنا نذکر مشهدین برزت فیهما المرأة کموقف، ورؤیة نقدیة حصیفة:

وأما المشهد الأول فیتجلی فی تحکیم *أم جندب* بین زوجها *امرئ القیس* و*علقمة بن عبدة* الذی تزوجها فیما بعد وصار یعرف *بعلقمة الفحل*، یقول *ابن قتیبة*: «کان *علقمة* ینازع *امرئ القیس* الشعر، فقال کل واحد منهما لصاحبه، أنا أشعر منک، فقال علقمة قد حکمت امرأتک *أم جندب* بینی وبینک، فقال رضیتُ، فقالت *أم جندب*: قولا قولاً تصفان فیه الخیل علی روی واحد وقافیة واحدة، فقال *امرؤالقیس* قصیدته التی أولها:

خلیلی مرا بی علی أم جندب لنقض لبانات الفؤاد المعذب

و قال *علقمة* قصیدته التی أولها:

ذهبت من الهجران فی غیرمذهب ولم یک حقا کل هذا التجنب

ثم أنشدها جمیعاً، فقالت لامری القیس، علقمة أشعر منک. قال وکیف؟ قالت لأنک قلت:

فللسوط ألهوب وللساق درة وللزجر منه وقع أخرج مهذب

فجهدت فرسک بسوطک، وزجرک فأتعبته بساقک وقال علقمة:

فولی علی آثارهن بحاصب وغیبة شؤبوب من الشد ملهب

فأدرکهن ثانیاً من عنانه یمر کمر الرائح المتحلب

فأدرک طریدته، وهو ثان من عنانه، لم یضربه بسوط، ولم یمره بساقه، ولم یزجره(ابن قتیبه، ١٩٨٦م: ١٣١- ١٣٠).

أما المشهد الثانی فقال *أبوالفرج الاصفهانی* فی کتابه «أخبار النساء فی کتاب الأغانی»: «اجتمع بالمدینة راویة جریر وراویة *کثیر* وراویة *جمیل* وراویة *نصیب* وراویة *الأحوص*، فافتخر کل واحد منهم بصاحبه، وقال: صاحبی أشعر. فحکموا *سکینة بنت الحسین بن علی*، رضی الله عنهما، لما یعرفونه من عقلها وبصرها بالشعر؛ فخرجوا یتقادون، حتی

استأذنوا عليها، فأذنت لهم، فذكروا لها الذى كان من أمرهم، فقالت لراوية جرير: أليس صاحبك الذى يقول:

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا حين الزيارة فارجعى بسلام

وأى ساعة أحلى للزيارة من الطروق، قبّح الله صاحبك، وقبّح شعره! ألا قال: فادخلى بسلام!

ثم قالت لراوية *كثيّر*: أليس صاحبك الذى يقول:

يقرّ بعينى ما يقرّ بعينها وأحسن شىء ما به العين قرّتِ

فليس شىء أقرّ لعينها من النكاح، أفيحب صاحبك أن ينكح؟ قبّح الله صاحبك، وقبّح شعره! ثم قالت لراوية *جميل*: أليس صاحبك الذى يقول:

فلو تركتْ عقلى معى ما طلبتُها ولكن طلابيها لما فات من عقلى

فما أرى بصاحبك من هوى، إنما يطلب عقله، قبح الله صاحبك وقبح شعره! ثم قالت لراوية *نُصيب*: أليس صاحبك الذى يقول:

أهيم بدعدٍ ما حييت فإن أمت فيا حربا من ذا يهيم بها بعدى

فما أرى له همة إلا من يتعشقها بعده! قبّحه وقبّح شعره! ألا قال:

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت فلا صَلَحت دعد لذى خلة بعدى

ثم قالت لراوية *الأحوص*: أليس صاحبك الذى يقول:

مِن عاشقين تواعدا وتراسلا ليلاً إذا نجم الثريا حلّقا

باتا بأنعم ليلة وألذها حتى إذا وضح الصباح تفرّقا

قال: نعم، قالت: قَبّحَه الله وقبح شعره! ألا قال: تعانقا.

قال *إسحاق* فى خبره: فلم تُثْن على أحد منهم فى ذلك اليوم، ولم تقدمه.

قال: وذكر لى *الهيثم بن عدى* مثل ذلك فى جميعهم إلا جميلاً، فإنه خالف هذه الرواية، وقال: فقالت: لراوية *جميل*: أليس صاحبك الذى يقول:

فيما ليتنى أعمى أصمُّ تقودنى بُثينةُ لايخْفى على كلامها

قال: نعم قالت: رحم الله صاحبک کان صادقاً فی شعره، کان *جمیلاً* کاسمه، فحکمت له»(الاصفهانی، ۱۹۸۸م: ۱۶۳-۱۶۲).

الأدب النسائی مدی الأعصار المختلفة

إنّ الأدب العربی النسائی مهضوم الحق، مهیض الجناح قدیماً وحدیثاً، فما تکاد تری دیواناً لشاعرة، أو مجموعة لنابغة، أهمل ذلک الأولون، ومضی علی آثارهم المتأخرون، فأنتَ إذا تصفحت مختارات الشعر کحماسة *أبی تمام* و*البحتری* وغیرهما من الأقدمین، أو مختارات *البارودی* وأمثاله من المتأخرین لا تجد فیها شعراً نسائیاً إلا ما ندر.

کأن الدهر قد حکم علی المرأة بالظلم فی کل شیء حتی فی الأدب والشعر، وما أدری إن کان ذلک من الأولین تعمداً أم کان منهم إهمالاً ونسیاناً(یمّوت، ۲۰۰۶م: ۵). علی کل حال إنّ المتصفح لمتن الشعر العربی القدیم ابتدء من عصر ما قبل الإسلام مروراً بالأعصر الأمویة والعباسیة والأندلسیة و...، وصولاً إلی عصرنا الحاضر یلفی عدداً ضخماً من الشاعرات المجیدات فی مختلف الأغراض الشعریة:

ففی العصر الجاهلی نجد أسماء شاعرات کثیرات وإن کان ما وصلنا من شعرهن قلیل، وأشهرهن *زرقاء الیمامة* التی کانت شاعرة وعرافة وهی التی تقول تحذر قومها من عدوٍّ یبیت لهم:

خذوا حذارکم یا قَوْمُ ینفعکم فلیس ما أری بالأمر یحتقرُ

إنی أری شجراً من خلفها بَشَرٌ وکیف تجتمع الأشجارُ والبشرُ

(صقر، ۱۹۶۷م: ۱۳۹)

وهذه *کرمة بنت ضلع* کانت تنشد الأراجیز لتحض الرجال، وتحمسهم علی الحرب، من شعرها هذه الأرجوزة المشهورة:

نحنُ بناتُ طارقْ نَمشی علی النّمارقْ

مَشی القطی البارق المشکُ فی المفارق

والدّرُ فی المخانق إنْ تُقبلوا نُعانق

اَو تُـــــدْبروا نُفـــــارق فـــــراق غيـــــر وامـــــقْ

(یموت، ۲۰۰۶م: ۴۲)

ومنهن *لیلی بنت لکیز* الملقبة بالعفیفة، وهی التی تصف فیها ابتذال الأعداء لعفافها بهذا البیت البدیع:

غَلَّلــوُنی قَیــدونی ضــرَبوا مَلْمَسَ العفـةِ منّـی بالعصـا

(نفس المصدر: ۳۲)

وکذلک *السلکة أم السلیک السعدی* وهو من الشعراء الصعالیک، کان لها شعر مؤثر فـی رثاء ابنها الذی قتله أحد أعدائه ومنه قولها:

طـافَ یبغـی نَجـوَةً مـن هـلاکٍ فَهَلَـکْ

لَیـت شـعری ضـلّةً اَی شـــیءٍ قتلَـــکْ؟

أمـــریض لـــم تُعَـــدْ اَم عَـــدُوّ خَتَلَـــکْ؟

(صقر، ۱۹۶۷م: ۱۶۶)

أما فی صدر الإسلام والعصر الأموی فقد حفظت لنا الکتب أسماء شاعرات مـن قـریش ومن بیت النبوة، ومنهن *عائشة بنت أبی بکر* و*عقیلة بنت عقیل بـن أبـی طالـب* و*سـکینة بنت الحسین* و*الرباب زوجة الحسین* و*فاطمة بنـت الأحجـم الخزاعیـة* وهـی مـن صـحابة *الرسول علیه السلام* و*عاتکة بنت زید* زوجة *عمر بن الخطاب*، وإن کانت المصادر التی بین أیدینا لم ترون لهن إلا قلیلا(بوفلاقة، ۲۰۰۳م: ۱۹).

وکذلک *سکینة بنت الحسین(ع)* التی کانت شاعرة وناقدة، قبل أن یعترف بهـا مؤرخـو الأدب ومن شعرها قولها ترثی زوجها *مصعب بن الزبیر* الذی قتل فی حرب *عبدالملک بـن مروان*.

فإن تقتلوه تقتلوا الماجد الـذی یری الموت إلا بالسیوف حراما

وقبلَکَ ما خاضَ الحسینُ مَنیـة إلی القوم حتـی أوردوه حمامـا

(صقر، ۱۹۶۷م: ۱۶۴)

هذه المقطوعة *للرباب زوج الحسین بن علی بن أبی‌طالب* ترثیه فیها حین قتل:

إن الذى كـان نـوراً يستَضـاءُ بـه بكـــربلاء قتيـــلٌ غيـــر مـــدفون
سبطُ النبـى جـزاكَ اللهُ صـالحةً عَنّـا وجُنِّبـتَ خُسـرانَ المـوازينِ

(كحالة، ١٩٨٢م، ج٢: ٢٤٢)

وفى هذا العصر اشتهرت *ليلى الأخيلية صاحبة توبة بن الحمير*، وهى شاعرة من شواعر العرب المتقدمات فى الإسلام وبها شعر كثير فى الغزل والرثاء(صقر، ١٩٦٧م: ٣٤٥).

وفى العصر الأموى فنجد *ميسون بنت بحدل*، وقد اشـتهرت بأبياتهـا التـى قالتهـا فـى تفضيل خيمتها البدوية على القصر المنيف الذى أسكنها فيه زوجها *معاوية بن أبى سفيان* ومنها:

لَبيـــت تخفُـــقُ الأرواحُ فيـــه أحـــبُّ إلـــى مـــنْ قصْـــرٍ منيـــفِ
ولَـــبْسُ عبـــاءةٍ وتَقَـــرّ عينـــى أحـــبُّ إلـــى مـــن لُـــبْسِ الشّـــفوفِ

(نفس المصدر: ١٦٤)

وفى العصر العباسى أهم شاعراته *الرابعة العدوية* التى عاشت فى القـرن الثـانى للهجـرة و*علية بنت المهدى*، أخت *هارون الرشيد* وكانت من ظريفات الـدهر ذكـاءً وجمـالاً وغنـاءً وشعراً. وفيها مجانة وحرية متطرفة فى القول، على عفاف وشرف ومقام. ومن غريب أمرهـا أنها نظمت الغزل نسائياً أى تغزلت باسم امرأة كناية عن حبيبهـا الرجـل ليبقـى مجهـولاً. وقد عشقت غلاما اسمه *طل* وقالت فيه:

أيـا سـروة البسـتان طـال تشـوقى فهـل لـى إلـى طـلّ إليـک سـبيل
متى يلتقى من ليس يقضـى خروجـه ولـيس لمـن يهـوى إليـه دخـول
عسـى الله أن نرتـاح مـن كربـة لنـا فليقـــى اغتباطـــا خلّـــة وخليـــل

(يموت، ٢٠٠٦م: ٢٤٠)

وفى عصر الفترة أشهر شاعراته *محبوبة* جارية *المتوكل* التى كان لها شـعر بـديع ولهـا رثاء فى سيدها *جعفر (المتوكل)* من أجمل ما قيـل فـى هـذا الموضـوع. وكـان *للمتوكـل* شاعرتان غير محبوبة هما *بنان* و*فضل*، كانت فضل شاعرة متقدمة فى زمانها وقالت:

استقبل الملک إمـام الهدی عام ثلاث وثلاثـــینـــا
خلافة أفضت إلی جعفر وهو ابن سبع بعد عشرینا
إنا لنرجو یا إمام الهدی أن تمـــلک الناس ثمانینا
لاقدس الله امـرأ لم یقـــل عند دعائی لک آمـــینا

(نفس المصدر: ۲۵۰)

وفی المغرب العربی فی الأندلس یعجز القلم عن إحصاء الأدیبات الأندلسـیات، ومـنهن *الجاریة العجفاء*، *عائشـة بنـت أحمـد القرطبیـة*، *حمدونـة بنـت زیـاد الغرناطیـة*، *نزهـون الغرناطیة* و*ولادة بنت المستکفی*.

أمّا *ولادة بنت المستکفی* فهی صاحبة النـدوة الشـعریة الشـهیرة، التـی تعـد نموذجـاً للنشاط الأدبی النسائی وتحرر المرأة فی المجتمـع الاندلسـی(غریب، ۱۹۸۰م: ۱۲). *ولادة* فتحت صالونها الأدبی فی قرطبة فی القرن الحادی عشر المـیلادی، بینمـا عرفـت فرنسـا هذه الصالونات لأول مرة فی القرن السابع عشر وکثرت فی القرن الثامن عشر؛ فاجتمع فی ندوتها من معاصریها شعراء وأدباء ووزراء مـن الرجـال والنسـاء وکانـت تسـتقبل الجمیـع ببشاشة ولطف، فیعجب بها الرواد، ویتمنی کل واحد منهم أن تکون له وحده وقد أشـارت إلی ذلک حین قالت:

إنـــی و إن نظـــر الأنـــام لبهجتـــی کظبـــاء مکّـــة صـــیدهُنّ حـــرامُ
یحْسبْنَ من لـین الکـلامِ فواحشـا وَیصـــدُّهنَّ عـــن الخنـــا الإســـلامُ

(بوفلاقة، ۲۰۰۳م: ۸۴)

قال *ابن بسام* فی «الذخیرة»: «مجلسها بقرطبة منتدی لأحرار المصـر، وفناؤهـا ملعبـا لجیاد النظم والنثر، یعشو أهل الأدب إلی ضوء عزتها، ویتهالک أفراد الشعراء والکتاب علی حلاوة عشرتها، إلی سهولة حجابها وکثرة منتابها، تخلط ذلک بعلـو نصـاب، وکـرم أنسـاب وطهارة أثواب»(ابن بسام: ۱۹۷۵م، ج۱: ۴۲۹).

وفی عصور الاضمحلال الأدبی عقب غارات التتار علی العالم العربی وتدمیرهم لمکتبـة بغداد، وتقویضهم لدولة الخلافة العباسیة ظهرت بین رواد الأدب امرأة ناسـکة زاهـدة هـی السیدة *عائشة الباعونیة*. کان ظهورها فی دمشق فی بیت علم وأدب، فکانت قمراً فی لیـلٍ

شديد السواد بددت ضياؤه حالک الظلم. «الفتح المبين فی مدح الأمين» هی من قصائد المديح *لعائشة الباعونية*، لهذه المدحية أهمية خاصة كونها من نظم امرأة هی أغزر الشاعرات العربيات حتی القرن العشرين، وقد ارتبط اسمها بشعر المديح النبوی وهی مع *البوصيری* أهمّ من اشتهروا بهذا الفنّ. ويبدو أنّ *الباعونية* كرست جلّ إنتاجها الأدبی شعراً ونثراً لموضوع مدح *الرسول* والمولد النبوی. وبديعيتها «الفتح المبين» المعارضة لبردة *البوصيری* أهم أعمالها، وجاءت فی مئة وثلاثين بيتاً ومطلعها:

فی حسنِ مطلع أقمار بذی سَلَم أصبحتُ فی زمرة العشاقِ كالعلمِ

للباعونية مدحية أخری مشهورة أورد صاحب الكشكول أبياتاً منها أوّلها:

سعد إن جئتَ ثنيات اللّوی حی عنّی الحی منِ آلِ لُوی

(العاملی، ۱۹۶۱م: ۳۶۱)

فيها وفی «الفتح المبين» توظف *الباعونية* فن البديع لمدح *النبی كالحلّی وابن حجّة*، ولكن ما يميز مديح *الباعونية* عن مديح الشعراء الرجال هو البعد العاطفی لدرجة تجعلنا نميل إلی اعتبارها رائدة الرومنسية الروحية فی الشعر العربی.

وفی عصر نهضة الأدب بعد الحملة الفرنسية علی مصر وبلاد الشام كان من بين رواد النهضة الأدبية سيدات فضيلات من أبرزهن: *ملک حنفی ناصف* و*عائشة التيمورية* التی أجادت الشعر باللغتينِ العربية والتركية وخلفت فی ذلک ديوانين «حلية الطراز» وهو ديوان لمجموعة أشعارها العربية وديوان آخر باسم «شكوفه» هو ديوان أشعارها التركية، وهو يحتوی علی بعض الأبيات التی قالتها الشاعرة فی ابنتها *توحيدة* التی توفيت وهی فی مقبل العمر.

ولها مؤلفات أخری هی: «نتائج الأحوال فی الأقوال والأفعال» هو كتاب عربی، فيه قصص لتهذيب النفوس و«مرآة التأمل فی الأمور» وهی رسالة باللغة العربية فی الأدب.

وفی عصرنا الحديث فی مجال الصحافة تألقت *زينب فواز* المولودة فی جنوب لبنان عام ۱۸۴۶م، حيث اشتغلت بالصحافة وألفت كتاب تراجم لنساء شهيرات عنوانه «الدر المنثور فی طبقات ربات الخدور» و*مارِی الياس* المشهورة بـ*مِی زيادة* كانت ألمع الأدباء والوحيدة التی كانت تتقن ست لغات، إضافة إلی أسماء أخری فی بلدان المشرق قامت بإنشاء صحف ومجلات نسائية مثل *روز أنطوان* التی أسست «مجلة السيدات والبنات» فی

الإسكندريه عام ۱۹۰۳م و*مارى عجمى* صاحبة «العروس» التى أنشأتها فـى دمشـق عـام ۱۹۱۰م(غريب، ۱۹۸۰: ۲۱)؛ أمّا فى مجال الرواية، فـأول روايـة عربيـة فـى تـاريخ الأدب الحديث، هى رواية «حسن العواقب» *لـزينب فـواز* وقـد كـان ذلـک عـام ۱۸۹۹م وروايـة «بديعة فؤاد» للكاتبه اللبنانية *عفيفة كرم* ورواية «ذاكرة الجسد» للروائية الجزائرية *أحـلام مستغانمى*.

وللأدب العربى فى هذا العصر أيضاً باحثـات ومفكـرات أخريـات نحـو الكاتبـة الأديبـة العالمة *بنت الشاطىء*، *عائشة عبدالرحمن* والأديبة القاصة *سكينة فؤاد* والكاتبة *نعمات فؤاد* ومن الشاعرات *علية الجعار* و*روحية القلينى* و ... .

انتهى هذا البحث إلى المساحة الكبيرة التى تشغلها المرأة فـى كافـة المجـالات، وقـد وقف على أهم الشخصيات النسائية البارزة، اللاتى يعتبرن من أعلام الأدب العربى وقـدرن على إثبات وجودهن فى مجتمعاتٍ أغلب أفرادها لايعترفون بالمرأة كعنصر منتج.

أغراض الشعر النسائى

يتناول شعر النساء فى العصر الجاهلى والإسلامى أغـراض الشـعر المعروفـة فـى تلـک الفترة كالمدح والرثاء والهجاء والحكمة وإثارة لحماس وغيرها من الأغـراض، غيـر أنّ أهـم الأغراض الشعرية التى نظمت فيها المـرأة الجاهليـة هـو الرثـاء وذلـک لأنّ نـدب الميـت والتفجع عليه كان من مهماتها وكانت *الخنساء* أرثى شواعر العرب وأغزرهن شعراً وديوانهـا يكاد يقتصر على الرثاء(بوفلاقة، ۲۰۰۳م: ۱۷).

ومن عيون شعرها فى رثاء أخيها *صخر*:

يذكّرُنى طلوعُ الشـمس صـخراً وأذكُـرُهُ لِكُـلّ غـروب شـمسِ

فلـولا كثـرة البـاكين حـولى علـى إخـوانهم لقتلـتُ نفسـى

(الخنساء، ۱۹۶۸م: ۵۰)

وفى هذه المرحلة ظهرت شاعرة أخرى هى *ليلى الأخيلية*، عاصـرت *عثمـان* ومـدحت *معاوية*، وحاول *الحجاج بن يوسف الثقفى* أن يقطع لسانها وفى موقع آخر أكرمها، ولها مع *الوليد بن عبدالملک* حكاية طريفة تدلل على براعتها فى الرد وقوة حضورها فـى مجـالس

الخلفاء وعلية القوم. وهی تختلف عن *الخنساء* بأهاجیها التی أثارت معارک حامیة بینها، وبین شعراء مرحلتها وفی المقدمة منهم *النابغة الجعدی* خصمها.

ولکن *الأخیلیة* تحولت إلی الهجاء اضطراراً أو استکمالاً لملمح قوتها وتمیزها، ولایذکر هذا الباب فی شعرها إلا استطراداً. ولها أشعار فی رثاء صاحبها *توبة بن حمیر* والأمر الأهم أنها کانت متروجة من رجل آخر عند مجاهرتها بأمر هذا الحب.

ومن میزات رثاءها خلو الکثیر من شعرها من الطقس المأساوی الذی وسم شعر *الخنساء*. إن اختلاف *لیلی الأخیلیة* عن *الخنساء* یبرز فی نوع صلتها بالمراثی وفی طبیعة استخدامها لها، مما یضعها فی مقام أقرب إلی الشعر منه إلی الندب. قال *فؤاد البستانی*: «شعرها أوفر تنوعاً من شعر *الخنساء*، وإن یکن هذا أکثر شهرة، نضمت فی المدح، ولها مدائح حسنة فی *الحجاج* خاصة»(البستانی، ۱۹۶۹م، ج۸: ۱).

فقالت فی مدح *الحجاج*:

أحجاج لایفلل سلاحک إنما — المنایا بکف الله حیث تراها

إذا هبط الحجاج أرضاً مریضة — تتبع أقصی دائها فشفاها

(صقر، ۲۰۰۶م: ۳۴۵)

وفی العصر العباسی عن موقع المرأة الاجتماعی، ینقسم شعرها إلی شطرین: الشعر الذی تقوله القینة والجاریة، وأکثره فی الحب ووصف الطبیعة وبعضه یقرب من التهتک، والآخر شعر التصوف والزهد، یصادفنا شعر صوفی *لرابعة العدویة* التی عاشت فی القرن الثانی للهجرة، ومن شعرها قولها تتغزل فی الذات الإلهیة:

حبیب لیس یعدله حبیب — وما لسواهُ فی قلبی نصیبُ

حبیبُ غابَ عن بصری — ولکن عن فؤادی ما یغیبُ

(صقر، ۱۹۶۷م: ۱۲۴)

أما شاعرات الأندلس فأهم الأغراض التی نظمن فیها، هی: الغزل، والمدح، والهجاء، ووصف الطبیعة، والشکوی، والاستعطاف. لعل أبرز أغراض الشعر النسائی فی الأندلس هو الغزل ومرد ذلک إلی شیوع الترف واللهو والطرب فی المجتمع الأندلسی.

ینقسم الشعر الغزلی إلی اتجاهین: اتجاه العفاف والترفع واتجاه المجون والشهوة ومن الشاعرات اللاتی یمثلن الاتجاه الأول هی «الغسانیة البجانیة»، تقول:

اَتَجْـزَعُ إن قـالوا سـترحل أظعـان وكيف تطيق الصبر ويحـک اِنْ بـانُو
وَمـا هـو إلا المـوت عنـد رحـيلهم وإلا فعـيش تجتنـى منـه أحـزانُ
عهدتهم والعـيش فـى ظـل وصـلهم أنيـق وروض الـدّهر أزهـر ريـانُ

(بوفلاقة، ٢٠٠٣م: ٧٤)

فى الشعر النسائى الأندلسى، «ظاهرة حب المرأة للمـرأة» أى الجنسـية المثليـة. كمـا عند *ولادة* وحمدونة *بنت زياد*، وكذلک موضوع الهجاء الـذى طرقتـه المـرأة الشـاعرة فـى الأندلس وأفحشت فيه وتجرأت – وبكل وقاحة – على ذكر السوءات وعلى الألفاظ البذيئـة التى يخجل الرجل من روايتها وكل ذلـک لانجـده عنـد المـرأة الشـاعرة المشـرقية(نفس المصدر: ١٩٢).

انطلق «عهد النهضة» من فكرة حرية المرأة النبيلة وضـرورة تعليمهـا وإتاحـة الفرصـة أمامها لتعبر عن عاطفتها مع إيمان بسحر الروح الأنثوى، ولكن لم تكسر الشـاعرة كصـوت جماعى حاجز الخوف من قول العاطفة بأشكالها المنوعة، إلاّ منتصف القرن العشرين وبقـى الرثاء أكثر انتساباً إلى شعر المرأة العربية إلى ستينات هذا القـرن وإن تطـور هـذا الغـرض لدى شاعرات هذا الزمن ليصبح نزوعـاً مأسـاوياً ومزاجـاً سـوداوياً كمـا حـدث مـع *نـازک الملائكة* وقبلها *مى زيادة* و*باحثة البادية* وغيرهن.

لنتذكر أن *باحثة البادية* كرست جزءً كبيراً من شعرها فـى رثـاء ابنتهـا وأقاربهـا، وإنّ شعرها الغزل وعلى وجه الخصوص المكتوب بالمصرية المحكية أصبح ضمن تراث الأغـانى الشعبية، ونسى الناس نسبته إليها. أما *وردة اليازجى* التى تقربت مـن شـعر الطبيعـة فـى صباها، فلم يكن أمامها بمرور الوقت سـوى أن تحـول نادبـة لكـل مـن مـات مـن أهلهـا ومعارفها، وكانت *نازک الملائكة* بحق بكاءة لاتكف عن رثاء ذاتها حتـى وهـى تقـول كـلام الحـب، وعنـدما توفيـت والـدتها تحولـت إلـى "خنسـاء جديـدة" ويتفـق هـذا الجانـب السايكولوجى فى شخصيتها مع نزوعها نحو إظهار أبعاد فلسفية فى شعرها.

نازک الملائكة لم تنتج سوى قصـائد الحـزن العـاطفى ورثـاء الـذات والشـعور بالعزلـة والخوف من الزمن والموت. فعاطفة الحـب لـديها التـى تشـكل محـور قصـائدها، ممتنعـة بإرادتها عن السعادة، لأنّ الفرح فيها يخرج المرأة عن وقارها ويلقيها فى مهاوى الرذيلة.

أمّا كانت *فدوى طوقان* بين الشاعرات البارزات بعد *الملائكة*، أكثرهن جرأة فى التطرق إلى موضوع الحب والحرية، حيث تغنت بمواعيدها مع الرجل وقاربت بعض قصائدها من نبرة *نزار قبانى* فى تجاوزه المتعارف الاجتماعى.

وفى المرحلة ذاتها ظهر بعض شاعرات منهن *لميعة عباس عمارة* فى العراق التى كانت تعبر بطاقة عن أحاسيسها، وعرفت بجرأتها العاطفية فى قول شعر الحب ولم تملك مزاجاً مأسوياً مثل *نازک الملائكة*، غير أن قصيدتها بقيت فى الظلّ مثل الكثير من الشعر النسائى الذى كتب فى مرحلتها(نزوى، ۲۰۰۹م: ۱۷).

أمّا فى عصرنا الحاضر لم أذكر أسمائهن لكثرتهن فقد تفنن فى القول، ونظمن فى كل مجال من ميادين الشعر الرائق.

هكذا حققنا أنّ المؤرخين سيطرت عليهم فكرة خاطئة، صورت لهم أن الشاعرة العربية لاتحسن غير الرثاء ولذلک حددوا مجالها الفنى بالرثاء وحده، وأهملوا شعرها فى غيره. *فابن سلام* فى «طبقة شعراء المراثى» وكذالک *البحترى* فى «حماسته» التى أفرد الباب الأخير لمختارات من الرثاء لعشر شاعرات. أما غير الرثاء فلا اهتمام به، وكأنّ المرأة لم تقل الشعر إلاّ فى الرثاء(بوفلاقة، ۲۰۰۳م: ۲۲).

نتيجة البحث

إنّ مصطلح الأدب النسائى يفيد عن معنى الاهتمام وإعادة الاعتبار إلى نتاج المرأة العربية الأدبى، وليس عن مفهوم ثنائى، أنثوى – ذكورى، يضع هذا النتاج فى علاقة اختلاف ضدّى – تناقضى، مع نتاج الرجل الأدبى.

والمصطلح بهذا المعنى يحيلنا على تاريخ الأدب العربى ساهمت فيه المرأة منذ عهود قديمة، تعود إلى ماقبل الفتح الإسلامى إلاّ أن مساهمتها أهملت بسبب من معايير قيمية ربطت بين الفنون والآداب وثقافاتهما وبين نظام قبلى قوامه القوّة، أو سلطة على رأسها رجل ينزع إلى التسلّط. هكذا جرى تفضيل شعر الفخر والمديح والهجاء على شعر الرثاء، أى تفضيل ما يعبر عن القوة ويخدم السلطة على شعر «الضعف والضعفاء».

ولئن كانت المرأة معتبرة، فى نظام القيم الاجتماعى، من جنس الضـعفاء فقـد أهمـل بشعرها وسقط ذكر الشاعرات اللواتى بلغ عددهن ٢٤٢ شاعرة، من *الخنساء* إلى *ولادة بنت المستكفى*.

المصادر والمراجع

ابن بسام، أبوالحسن. ۱۹۷۵م، **الذخيرة فی محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق إحسان عباس، تونس: الدار العربية للكتاب.

ابن قتيبة، أبومحمد عبدالله بن مسلم. ۱۹۸۶م، **الشعر والشعراء**، بيروت: دار إحياء العلوم.

الأصفهانی، أبو الفرج. ۱۹۸۸م، **أخبار النساء فی كتاب الأغانی**، جمع وشرح عبد الأمير مهنا، بيروت: مؤسسة الكتب للثقافة.

البستانی، فؤاد أفرام. ۱۹۶۹م، **دائرة المعارف**، بيروت: لانا.

بوفلاقة، سعد. ۲۰۰۳م، **الشعر النسوی الأندلسی**، بيروت: دار الفكر.

الخنساء، تمتضر بنت عمرو. ۱۹۶۸م، **ديوان**، بيروت: دار التراث.

الرافعی، مصطفی صادق. ۱۹۷۴م، **تاريخ آداب العرب**، بيروت: دار الكتاب العربی.

صقر، عبدالبديع. ۱۹۶۷م، **شاعرات العرب**، قطر: المكتب الإسلامی.

طرابيشی، جورج. ۱۹۸۱م، **الأدب من الداخل**، بيروت: دار الطليعة.

العاملی، بهاءالدين. ۱۹۶۱م، **الكشكول**، تحقيق الطاهری الزاوی، ليبيا: دار إحياء الكتب العربية.

غريب، روز. ۱۹۸۰م، **نسمات وأعاصير فی الشعر النسائی العربی المعاصر**، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

كحالة، عمر رضا. ۱۹۸۲م، **أعلام النساء فی عالم العرب والإسلام**، بيروت: مؤسسة الرسالة.

الكيلانی، إبراهيم. لاتا، **أدبيات من الغرب**، دمشق: منشورات دار الرواد.

ونيسی، زهور. ۱۹۸۸م، **علی الشاطیء الآخر**، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

يمّوت، شبير. ۲۰۰۶م، **شاعرات العرب فی الجاهلية والإسلام**، بيروت: مكتبة الأهلية.

المقالات

مرادی، محمد هادی و پيام كريمی، ۱۳۹۱ش، «**تجليات الحب والمرأة فی أشعار نزار قبانی**»، فصلية دراسات الأدب المعاصر، جامعة آزاد الإسلامية فی جيرفت، السنة ۴، العدد ۱۳: صص ۸۱-۱۰۱.